

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين

موضوع البحث: فضيلة طلب علم

قال الامام الصادق(ع) في وصيته ل Hammond: «فَكُنْ يَا حَمَادُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقِرَّ عَيْنَكَ وَ تَنَالَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَاقْطُعِ الْطَّمَعَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَ عُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى وَ لَا تُحَدِّثْ لِنَفْسِكَ أَنَّكَ فَوْقَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَ اخْرُونِ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ مَالَكَ». (بحار الأنوار 13: 416)

لا اذكر انه قد ورد في ما يتعلق بالترغيب في طلب العلم في كلمات الائمة المعصومين(عليهم السلام) مثل هذا التعبير حيث ان الوارد في الترغيب في طلب العلم هو «أَطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْلَّهِ» او تعبير اخر، واما هذا التعبير «في آنَاءِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ»؛ اي في جميع لحظات الليل والنهار لا بمعنى اني اضع وقتاً معيناً لطلب العلم بان يقال اضع اربع ساعات لطلب العلم و اجعل الساعات الاخرى في طلب الامور الاخرى بل لا اضع وقتاً لطلب العلم فمن يطلب العلم فهو يطلب العلم ليلاً ونهاراً ولا يفرق عنده بين العطلة والدوام، ولا بين الشباب والكبار.

ثم يقول ان كنت ت يريد ان تقر عينك وان لا تحزن و تكون دائماً نشيطاً فان هذا الكلام كناية عن النشاط وعدم الحزن وهو دائماً مرتاح نفسياً وان كنت ت يريد خير الدنيا والآخرة «فَاقْطُعِ الْطَّمَعَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

فان رأيت شخصاً يملك بيته جيداً، و ملابس أو سيارة فاخرة، وعنه منزلة ومنصب رائع، فلا تطمع ولا تطلب ذلك، ولا تقل اني اريد اصل الى هذه الامور يوماً، فمتي اطلب ذلك؟

والطمع هو امر - حسب ما ورد في الروايات - يزداد في نفس الانسان يوماً بعد يوم، فمن جملة الخصال تزداد كلما كبر الانسان هو الطمع، ولا يفرق في ذلك اي كان متعلق الطمع المال او المنصب او الشهوة او الأكل.

فاما تمكن الانسان ان يصل الى هذه المرحلة وهي ان يكون وجود الخير في ايدي الناس و عدمه في عينه شيء امر واحد فهذا مرتبة عالية. واحياناً يتتفوق الانسان الى اعلى من ذلك، فاما رأى الانسان ان احداً متمنلاً يتأسف لذلك لماذا قد صرف هذا الانسان عمره في جمع المال، ولم لم يصرف عمره في سبيل العلم والمعارف الدينية؛ فاما لم يكن الانسان يتأسف لذلك، فلا اقل من قطع الطمع، ومعنى (قطع الطمع) هو ان لا يكون لديه ميل نحو ذلك ولا لحظة، فهذا هو (قطع الطمع).

فيجب علينا ان نحاسب انفسنا ونصلح انفسنا، ونطلب من الله تعالى حقيقة ان نقطع الطمع من المال والمنصب والامور الدنيوية. يقولون تريدون ان تصلوا الى اي مقام في المستقبل؟ انا اقول ان هذا التفكير وهو ان يصل الانسان الى الجاه والمنصب خاطيء جداً، جداً.

نحن لا ندري هل نعيش بعد دقيقة او لا، حتى نريد - لا سامح الله - ان نمهد المقدمات لأجل الحصول على منزلة او مقام. نتوسل بهذا وذاك كي نعطي منصباً في الدولة او الحصول على منزلة اخرى.

فاما قطع الانسان طمعه، فهذه الافكار لا تأتي الى فكره، فالامام قد ذكر لحمد مسألة مهمة جداً، وحمد كان يقضي اكثر اوقاته عند الامام الصادق (عليه السلام) ولم يكن حماد حينما اوصاه الامام شاباً يبلغ من العمر 20 بل كان عمره يتراوح الاربعين سنة.

«وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى»؛ اي افرض نفسك ان قد مت وقد تركت الدنيا فأي عمل عندك ؟ فانظر هل عندك صلاة ؟ وما عندك من العلم و القرآن؟

«وَلَا تُحَدِّثْ لِنَفْسِكَ أَنَّكَ فَوْقَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ»؛ لا تتصور ابداً افضل من غيرك، وهذا ايضاً امر اخلاقي مهم جداً.

«وَأَخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ مَالَكَ» فكما تخزن اموالك وتصونها، فصن واحفظ لسانك فان كثيراً من الذنوب تصدر عن طريق هذا اللسان. فكثير من الفتنة سببها اللسان . وكثير من الحروب والنزاعات تحصل بسبب اللسان.

فهذه وصية قالها الامام (ع) لحمد، وبالتأكيد ان لهذه الوصية توضيحات اخرى والاخوة يفهمون هذه الاحاديث اكثر مما نفهمه ويعرفون معانها جيداً ولكن ينبغي حقيقة ان نتأمل في هذه الاحاديث ونجعلها هذه الاحاديث ملكرة لنا . فحينما نمشي نتذكر وصية الامام الصادق (عليه السلام): «فَكُنْ يَا حَمَادُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» وبعد ذلك نفكر اذا اردنا حقيقة ان تكون من طلاب العلم فمن يساعدنا ؟ وماذا يجب ان نصنع ؟ يجب ان نتوسل بنفس الامام الصادق (عليه السلام).

اما ان يقول الانسان اني من اليوم اريد ان اكون طالباً للعلم «آناء الليل و النهار» فهذا الامر لا يكون، اي ينبغي الانسان ان يعمل عملاً بحيث يصبح لا هدوء له بالنسبة الى المسائل العلمية، فهو مشغول بالعلم في البيت وفي كل مكان، حتى في حالة المرض، وللأسف في الوقت الحاضر يغيب طالب العلم اسبوعاً عن الدروس العلمية اين كنت؟ كنت مريضاً فهذا غير صحيح.

بعض اساتذتنا تصل درجة الحمى عنده الى 40 درجة و بالرغم من ذلك ياتي الى الدرس، كنا نقول له: اهتم بنفسك، فيقول: اذا لم ات الى الدرس فاعلموا اني في حالة الاحضرار، والا فالحمى لا ينبغي ان تكون مانعاً عن الدرس.

وما نحن الطلبة نترك الدرس بادنى اقل مناسبة، فهذه المسالة صارت مشكلة الحوزة، ينبغي ان تراقب انفسنا قليلاً.

كان والدنا (رضوان الله عليه) يقول في الدرس قولوا للعمل عندنا درس ولا تقولوا للدرس عندنا عمل، والآن نحن صرنا هكذا نقول للدرس عندنا عمل، وطبعاً هناك بعض الامور الضرورية (مما لا بد منها) ولا ينبغي للانسان ان يغفل عنها. ولكن ينبغي جعل الدرس في الدرجة الاولى ويقدم على كل شيء، فاما رأانا الله تعالى قد جئنا الى الميدان بهمة فسوف يأخذ بآيدنا، وحينئذ يتحقق قول الامام (ع) «الْعِلْمُ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ» واما لاجل اي عذر نأتي يوماً ولا نأتي يوم، يوم نتبااحث ويوم لا نتبااحث يوم نحقق ويوم لا نحقق فالله تعالى حينما يرى الانسان لا يعترض بهذه النعمة فسوف لا يشمل لطف الله حال هذا الانسان.

ان شاء الله تعالى نأتي الى ميدان العلم بكل وجودنا.

و صلّى الله على محمد و آلـه الطـاهـرـين.